مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة محكّمة،
العدد الرابع والعشرون، خريف وشتاء ١٣٩٥هـ. ش/٢٠١٧م
صص ١- ٣٠

الثّنائيّة القصديّة بين التّراث العربيّ والدّراسات الغربيّة

مريم أقرين*

الملخّص

يرصد هذا البحث بشكل موجز الأفكار الأولى لقضية من قضايا القصد وهي: **"الثّنائيّة القصديّة"**، التي اكتسحت صفحات الدراسات العربيّة والغربيّة كونها تبرز قيمة العمل الإبداعي ورقيّه، لأنّها تمثّل: مجموعةً من الأهداف والأغراض والمرامي البعيدة المدى التي تستوطن النّص، والمتلقي عليه أن يتصيّدها ولا يقف عند القصد القريب بل يسعى إلى القصد البعيد وبهذا ينتج عن ذلك "ثنائيّةً قصديّةً". ولا شكّ أن معرفة هذه الأخيرة تحتاج إلى درايةٍ بها وهذا موطن الإشكال؛ فالقصد الأوّل ثابتٌ لأنّه ظاهرٌ سطحيٌّ وفي الغالب يدركه كلّ قارئٍ، والقصد الآخر متعدّدٌ ومتغيّرٌ لأنه باطنيٌّ تلميحيٌّ ولا يدركه كلّ قارئٍ عدا الذكي والمثقّف والواعي من خلال تمعّنه في النّص وتوظيف إمكاناته المعرفيّة والسياقيّة.

وتتجسّد الدّراسة وفق مفاصل محدّدة هي، **أوّلاً**: تعريف القصد والثّنائيّة القصديّة، **وثانياً**: الثّنائيّة القصديّة في الدراسات العربية التراثية، **وثالثاً**: الثّنائيّة القصديّة في الدراسات الغربية، فهذين العنصرين الأخيرين رسما معالم الثنائية من ناحية تسميتهما المختلفة من عالم لآخر، بل حتى عند العالم نفسه، وأيضا التعريف بهما، والتمثيل لهما بنماذج متنوعة اللغة والمضمون، **ورابعاً**: المقارنة بين الدرسيْن، الذي تمّ التطرّق فيه لنقاط الاتفاق والاختلاف.

وقد توصّلت الدراسة إلى أنّ فكرة الثّنائيّة القصديّة تظهر عند العلماء القدامى من دون ذكرٍ لهذا المصطلح، بل اقتصروا بتقسيم المعنى إلى قسمين اثنين مثلهم في ذلك مثل الدارسين الغربيين. كما أنّه يمكن أن نلمس أثناء المقارنة بين الدرسيْن، وجود نقاط اتّفاق أكثر من نقاط الاختلاف، وهذا دليل على وجود علاقة فكرية وطيدة بينهما، لأنّ الهدف في النهاية واحد، هو عرض النّص وتحليله دلاليًا ومقصديًا سواء الظاهر منها أو الباطن.

كلمات مفتاحيّة: الثنائية القصدية، الدرس العربي، الدرس الغربي، الصريح، الضمني، الثابت، المتعدّد.

---

*- أستاذة مساعدة في قسم الآداب واللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.
البريد الإلكتروني: meriem.agrine@gmail.com

تاريخ الوصول: ١٣٩٤/٠٥/٢٩هـ.ش= ٢٠١٥/٠٨/٢٠م تاريخ القبول: ١٣٩٦/٠٢/٠٩ هـ.ش= ٢٠١٧/٠٤/٢٩م

المقدّمة

كانت ظاهرة التواصل البشري –ولا تزال– موضوع نقاش جلّ العلوم باختلاف طبيعتها إلاّ أنّها لم تتوصّل لحدّ الآن إلى بلورة مفهومها بشكل نهائي، فمن بين أطراف التواصل "**المخاطِب**" الذي يحتلّ مكانة عند دخوله لهذه العملية التخاطبيّة كونه لا يسعى فقط إلى إخبار المتلقي بمعلومات يجهلها، ولكن يحاول التأثير عليه واكتساب ثقته والوصول به إلى تصوّر ما، ليقع بذلك في "**الثنائيّة القصديّة**" الناتجة عن تواصله عامة، وبثّ رسالته المناسبة للسياق خاصة: فهي تقوم أساساً على جملة من الأهداف والمرامي والمقاصد البعيدة المدى، يحاول المرسل شحنها في إبداعه لتتربّع في مقصدين اثنين أولهما: ثابت وصريح ومعروف عند عامة القرّاء يُدرك بقراءة سطحية، وثانيهما: متغيّر وضمني ومتعدّد بتعدّد القارئ، ففي هذا المقام كثيراً ما يتعرّف المتلقي لقصد المتكلّم ونواياه عن طريق قراءة عميقة مع توظيف كفاءته المعرفيّة والسياقيّة، إضافة لحدسه.

والملاحظ في الدرس القديم ورود بحوث لا يستهان بها في مجال تحليل المعنى والقصد سواء عند البلاغيين، نحو: "**عبد القاهر الجرجاني**" في كتابه "**دلائل الإعجاز**"، والأصوليين، نحو: "**الشاطبي**" في مصنّفه "**الموافقات**". وعند مقارنة الدراسات اللغوية القديمة بالدراسات اللغوية الحديثة يبدو التشابه عميقاً بين التناول العربي القديم والتناول الغربي في العديد من النقاط الخاصة بالمعنى والقصد تارةً، والثّنائيّة القصديّة تارةً أخرى.

وانطلاقا من ذلك، تظهر **أهميّة** وقيمة الثّنائيّة القصديّة كونها راحت تجذب انتباه الدارسين على اختلاف منطلقاتهم ومشاربهم؛ لأنّه ما من أديبٍ، أو مبدعٍ، أو متكلّمٍ إلا وأضفى على رسالته معنيين أو مقصدين بنيّةٍ منه أو بدون نيّةٍ، بل إنّ اللّغة على تمايزها (العربية والأجنبية) وتنوّع مادتها؛ نصوص دينيّة أو أدبيّة وحتى لغة الرّموز والترقين تُشحن عند بعثها بطاقة من المعاني منها الظاهري الثابت ومنها الباطني المتعدّد. لهذا كان من الضّروريّ الوقوف عندها لفهم هدف الكاتب وقصده من تأليف النّص.

لذا **تهدف** هذه الدراسة إلى محاولة إجلاء فكرة الثّنائيّة القصديّة في الدرس العربي القديم والدرس الغربي تارةً، وطريقة تجسيدها تارةً أخرى، إضافة إلى تبيين نقاط الاتفاق بين الدرسين رغم اختلاف اللّغة، والمنطلق، والمعتقد.

وتسعى –هذه الدراسة– كذلك للإجابة عن بعض **الأسئلة**، أهمها: ما هو القصد؟ وما مفهوم الثنائية القصدية؟ وكيف تجلّت فكرة الثنائية في تصوّر كلّ من الدارسين العرب القدماء والدارسين الغربيين؟ وكيف

تمّ تجسيد وتحليل هذه الثنائية عندهما؟ وهل هناك تشابه واختلاف بين الفِكْرَين؟ وإذا كان كذلك فأين يبرز هذا التوافق والاختلاف؟

وسنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال ثلاثة محاور: بدءاً بالأوّل المعنون بـ"**تعريف القصد والثنائية القصدية**" الذي تمّ التعرّض فيه إلى الجانب اللّغويّ والاصطلاحيّ لمصطلح "القصد"، ثمّ تبيين معنى "الثنائية القصدية" باعتبارهما البوابة الأساس المؤديّة لصلب الموضوع. أمّا المحور الثاني فهو موسوم بـ "**الثنائية القصدية في الدراسات العربية التراثية**"؛ الذي تمّ التطرّق فيه للثنائية عند علماء العربيّة، الأصوليين والبلاغيين، كون بحوثهم اللبنة الأولى في دراسة القصد. في حين كان المحور الثالث معنون بـ"**الثنائية القصدية في الدراسات الغربية**"؛ الذي تضمن جملة من الدارسين والباحثين الغربيين الذين درسوا وحلّلوا هذه الثنائية، منهم التداوليين والأسلوبيين. أمّا المحور الرابع فهو "**المقارنة بين الدرسيْن**" الذي يُبرز نقاط التشابه والاتفاق بينهما. ثمّ نخلص في النهاية إلى أهمّ النتائج.

أمّا **المناهج** المعتمدة في الدّراسة فيُمكن تحديدها في **المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التّحليلي، والمنهج المقارن**. التي تناسب طبيعة هذا الموضوع؛ فقد وُظّف "المنهج التاريخي" عند محاولة تتبُّع فكرة الثنائية القصدية عند علمائنا العرب القدماء والغربيين، وتمّ الاعتماد على "المنهج الوصفيّ التّحليليّ" لوصف طريقة تحليل الثنائية عند الدارسين في مختلف النماذج سواء أكانت نصوص دينيّة أم أدبيّة، أمّا "المنهج المقارن" فكان أثناء تقديم رصد لنقاط الاتفاق والاختلاف بين الدرسيْن في فكرة الثنائية القصدية.

ومن الدّراسات السّابقة الحديثة، نجد: **تعدد المعنى في القرآن بحث في أسس تعدّد المعنى في اللّغة من خلال تفاسير القرآن**، لألفة يوسف، ط٢، (د.ب): دار سحر للنشر، كلية الآداب منوبة، (د.ت). التي وصلت إلى قسمين للمعنى وضعت عليهما الخطوط الكبرى لبحثها وهما المعنى الماصدقي المستند للواقع، والمعنى التّأوليّ الذي تدخل ضمنه كلّ دلالات المعنى. ونجد أيضا دراسة **الملازمات بين المعاني في مفتاح العلوم للسّكاكي: مقاربات تداولية في ضوء نظرية الاستلزام الحواري** لباديس لهويمل، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، متخصصة نصف سنوية محكّمة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، العدد ٢، م. فكانت أحد نتائجه تنصّ على أنّ الأغراض التّواصليّة للخطاب في علم البيان تعبّر عن مقاصد مختلفةٍ بإثارة ذهن المتلقي للبحث عن المعنى المقصود (الضمني) عبر عمليات الاستدلال البيانيّة.

والملاحظ من عناوين هذه الدراسات وموضوعاتها أنّها قدّمت فكرة الثنائية القصدية بشكل عابر واكتفت بدراسة المعنى وظلاله في الكتب التراثية واستخراج نماذج منها وتحليلها حسب ما يناسب المقام. أمّا الوقوف على تعريف صريح للثنائية القصدية ومحاولة تقصّيها عند الدارسين العرب القدماء والغربيين على حدّ سواءٍ، وعرض لطريقة تحليلهم لها في مدوناتٍ مختلفةٍ، ثمّ عقد مقارنة بين الدرسيْن لاستجلاء نقاط الاتفاق والاختلاف، لم تتطرق له.

تعريف القصد والثّنائيّة القصديّة

يجدر بنا، بداية، تحديد المعنى اللغوي للكلمة في المعاجم اللّغوية، وكذا في مجال أصحاب التّخصص أو ما يسمى بالمعنى الاصطلاحيّ، ثمّ الانتقال لتقديم تعريفٍ لجوهر موضوعنا وهو "الثّنائيّة القصديّة".

أ. القصد لغة

تنتمي كلمة (قصد) إلى الجذر اللّغوي المكوّن من "القاف" و"الصاد" و"الدال" والذي جاء في المعاجم العربية التراثية بعدّة معانٍ، منها ما ورد في معجم **"العين"** بمعنى (استقامة الطريق) «قصد: القَصْدُ استقامة الطّريقة، وقَصَدَ يَقْصِدُ قَصْدًا فهو قاصد»[١]. ومن معانيها أيضا، (الإصابة) حيث يقول **"ابن فارس"**(ت٣٩٥هـ): «فالأصل: قَصَدته قَصْدًا ومَقْصِدًا، ومن الباب: أَقْصَدَه السَّهْمُ إذا أصابه»[٢]، وبمعنى (نَحْوَ) يذكر صاحب **"الصّحاح"** «وقصدتُ، قصدهُ: نَحْوَت نَحْوَه»[٣].

وفي**"لسان العرب"**، وردت بمعنى (الطريق المستقيم) أو (استقامة الطريق) وهذا معنى قوله تعالى: **(وَعَلَى اللهِ قَصْدُ السَّبِيلِ)** [النّحل/٠٩] «أي على الله تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج، والبراهين الواضحة»[٤].

فمجمل معاني المادة (قصد) تصبُّ في: الغاية التي يُراد إصابتها والوصول إليها.

ب. القصد اصطلاحًا

يمكن أن نقف على تعريف اصطلاحي قدّمه أحد العلماء للقصد بقوله، هو: «ما فهم من اللّفظ غير محل النطق»[١]، وبعبارة أخرى هو ذكر «كلام يدل ظاهره على معنى وهم يريدون به معنىً آخر عكسه

---

[١] – الخليل بن أحمد الفراهيدي، **كتاب العين**، ج٥، ص٥٤.

[٢] – ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج٥، ص٩٥.

[٣] – الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، ج٢، ص٥٢٤.

[٤] – ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٢٦٤.

وخلافه»[٢]، أما عند أحد الدارسين فيتجلّى في «الغاية التواصلية التي يريد المتكلّم تحقيقها من الخطاب وقصده منه، أي مراعاة الغرض من الكلام»[٣]، فهو بهذا ناتج عن «مراد صاحب الحديث من قوله وحكمته» [٤].

فجُلُّ هذه التعريفات تصبّ في فكرة مفادها؛ أنّ القصد ينحصر في أنّ كلّ خطابٍ أو كلامٍ يحتوي على "مرادٍ" و"غايةٍ" و"غرضٍ" و"هدفٍ" خفيٍّ، في حين المتلقي عليه فهم هذا المراد المقصود والمعنى المبتغى الذي يختلف عن الدلالة الظاهرة. وبعبارة أخرى، نقول شيئا ونقصد آخر؛ أي أقول معنىً وأقصد معنىً آخر.

ج. تعريف الثّنائيّة القصديّة

حاولت إحدى الدراسات المتخصّصة في ظاهرة العدول وما ينتج عنها من مقاصد متنوعة منها المباشرة وغير المباشرة، أن تضع تعريفاً لفكرة "الثنائية القصدية" فقالت: هي تضمين المرسل رسالته بـ«ألفاظٍ مشحونة بـ**"مقاصد ظاهريّة مباشرة"**، لا يحصل بينها خلاف كونها ثابتةً ومشتركةً بين المتلقين، و**"مقاصد باطنيّة غير مباشرة"** متميّزة بتعدّدها وتنوّعها لاختلاف قراءاتهم، وكلّ هذا لا ينتج من فراغ، بل يتمّ التّوصل لهما بواسطة **"سياقٍ لغويّ"** في الأوّل و**"سياقٍ حاليّ"** في الثاني مع **"كفاءةٍ معرفيّةٍ"** مساعدةٍ للمتلقي»[٥]، ثمّ تربط الدراسة بين العدول ومقصده فتقول: «فما إنشاء المرسل للعدول الجائز داخل رسالته، إلاّ سعياً للوصول نحو هدفه المنشود والمبتغى وهو **"المقصد الباطني"**، بعد مروره بالمقصد الظاهري»[٦]. ويمكن تلخيص هذه الفكرة في المعادلة الآتية:

(القصد= مقام/سياق حال + كفاءةٍ معرفيّةٍ سابقةٍ – مضمون معجمي)[٧]

---

[١] – الآمدي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ج٣، ص٨٤.

[٢] – ابن القيّم الجوزيّة، **الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، ص ١٢٠.

[٣] – مسعود صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، ص ٢٠٠– ٢٠١.

[٤] – محمد رشيد رضا، **تفسير القرآن الحكيم**، ج٥، ص٢٦٧.

[٥] – مريم أقرين، **العدول ومقاصده في ديوان "ابن خفاجة الأندلسي"**، ص٥٢، ٥٣.

[٦] – المصدر نفسه، ص٥٣.

[٧] – المصدر نفسه، ص٤٧.

فالقصد المنشود في الثنائية القصدية هو وليد: «عملية إقصاء/ إفراغ المعنى المتعارف عليه للمفردة (المضمون المعجمي)، وشحنها بمعنى آخر (مضمون تلميحي) بتفعيل الكفاءات اللّغوية المعرفية للمبدع أو المتلقي في سياقات ومقامات معينة»[1].

وقد قام أحد الدارسين بوضع شكل تقريبي يوضّح هذه الفكرة أيضاً، وهو[2]:

فيبدو من خلال الشكل «تعدّد "**المعنى الثاني**" [واشتقاقه] كونه مرتبطًا بالسياق والقصد، عكس "**المعنى الأوّل الأصلي**" المتضمّن دلالةً واحدةً مشتركةً، وكلّ ذلك ناتج من "**قول**" معيّن يهدف منه "المرسل" إلى تجاوز القصد الحقيقي إلى القصد الضمني المتميّز بتنوّع القراءات لاختلاف "المتلقي"»[3].

فمن خلال التعريف، يمكن أن نستنتج أنّ الثنائية القصدية تنطلق **أوّلاً** من تأليف الخطاب من طرف المخاطب –لاسيما الإبداعي الفني– الذي يرسل معانٍ ومقاصدٍ ضمنيةٍ باطنيةٍ (وهي الهدف المقصود)، ويحاول المتلقي **ثانياً** الوصول لها باعتماده على حصيلته المعرفية والسياق بأنواعه حتى لايقف، فقط، عند المعاني الظاهرية السطحية المعروفة عند عامة القرّاء.

فحدّ الثّنائيّة القصدية مجموعة من الأهداف والأغراض والمرامي البعيدة المدى التي تستوطن النّص، وعلى المتلقي أن يتصيّدها ولا يقف عند القصد القريب بل يسعى إلى القصد البعيد لينتج عن ذلك "ثنائية قصدية"؛ القصد الأوّل ثابت والقصد الثّاني متعدّد ومتغيّر، وهذا الأخير لا يدركه كلّ قارئ عدا الذكيّ والمثقّف والواعي من خلال تمعّنه في النّص وتوظيف إمكاناته المعرفيّة والسياقيّة.

الثّنائيّة القصديّة في الدّراسات العربيّة التّراثيّة

إذا حاولنا تتبّع فكرة الثنائية القصدية في معظم الدراسات العربية الأصيلة، فسنجدها قد لاقت اهتماما قويًّا على اختلاف توجّهات الباحثين وتخصّصاتهم أثناء دراستهم للقرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والشعر.

---

[1] – المصدر نفسه، ص٤٧.

[2] – بنعيسي أزاييط، **من تداوليات"المعنى المضمر"**، ص ٥٤.

[3] – مريم أقرين، **العدول ومقاصده في ديوان "ابن خفاجة الأندلسي"**، ص٣٩.

أ. عند الأصوليين

لقد استبان مصطلح "**القصد**" وبشكل بارز عند الأصوليين ومنهم "**أبو حامد الغزالي**"(ت٥٠٥هـ)، الذي نراه عرّف القصد من الناحية التشريعية خاصة بمعنى "**المصلحة**"، فيقول: «أما المصلحة فهي عبارة -في الأصل- عن: جلب منفعة أو دفع مضرّة »[١]؛ فـ"المقاصد" عنده هي مصلحة تكمن في جلب المنفعة ودفع المضرّة، وقد قسّم "المقاصد" في مصنفه إلى أربعة أقسام، وهي: "**المجمل والمبين**"، و"**البيان والمجمل**"، و"**الظاهر والمؤوّل**"، و"**من النظر في الصيغة القول في العام والخاص**"[٢]، ونقف في هذه الدراسة عند "**المجمل والمبين**" –على سبيل التمثيل لا الحصر- فأمّا "**المجمل**" فهو؛ «أنّ [اللفظ] يتردد بين معنيين فصاعدا من غير ترجيح»[٣]، وأمّا "**المبين**" فهو: «أن يتعيّن معناه [اللّفظ]، بحيث لا يحتمل غيره»[٤].

فـ"المجمل" ما تتعدّد معانيه، ولا يمكن الوقوف عند واحد منها، كونه غير ظاهر، بل يؤوّل ويستنتج من الكلام ونصل إليه من خارج محلّ اللفظة المنطوقة؛ أي بشكل ضمني، ويمكن مقابلته بـ (المقصد الثاني المضمر)، و"المبين" هو المحدد للمعنى والظاهر، ولا يختلف فيه كونه ذو معنى قطعي يُفهم من اللفظ المنطوق، ويمكن مقابلته بـ (المقصد الأول الصريح).

ليقول "**ابن قيّم الجوزيّة**"(ت٧٥١هـ): «أن العرب قد توسّعوا في كلامهم وتجوّزوا إلى غاية فيذكرون كلاماً يدلّ ظاهره على معنى وهم يريدون به معنى آخر عكسه وخلافه»[٥]؛ فيعني ذلك أن هذا الخروج والتوسع يكون لقصدٍ وغايةٍ مرجوة منه، والقصد هو أنّك تقول كلاماً له معنى في الظاهر، ولكنه ليس المراد، بل المراد معنى آخر ضمني، وقد يكون عكس المعنى الظاهر وخلافه، وبعبارة أخرى «يقول شيئاً، بينما يفهم المتلقي شيئاً آخر»[٦].

---

[١] – الغزالي، **المستصفى من علم الأصول**، ج٢، ص٤٨١– ٤٨٢.

[٢] – المصدر نفسه، ج٤، ص٣٩ و٦١ و٨٤ و٢١٢.

[٣] – المصدر نفسه، ج٤، ص٣٧– ٣٨ .

[٤] – المصدر نفسه، ج٤، ص ٨٤.

[٥] – ابن قيم الجوزية، **الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، ص ١٢٠.

[٦] – نعيمة سعدية، **شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ص١٤٠ و١٤١.

ومن شدّة اعتناء الإمام "**الشّاطبي**"(ت٧٩٠هـ) بالمقاصد التشريعية حتى كادت تصبح لديه نظرية في كتابه "**الموافقات**" ولهذا سمي بـ"**شيخ المقاصد**"[١]، حيث نراه تناول المقصد من جميع جوانبه تقريباً؛ فيقول في "**المقاصد**": «تكاليف تشريعية ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسامٍ: أحدها أن تكون ضروريّةً، والثاني أن تكون حاجيّةً، والثالث أن تكون تحسينيّةً»[٢]؛ حيث حصر المقاصد التشريعية في ثلاثة أمور؛ ضروريّةٍ وحاجيّةٍ وتحسينيّةٍ.

وأثناء تصفّح الكتاب سنلاحظ أنّه قد قسّم "المقاصد" إلى نوعين، هما: "**القصد الأصلي، والقصد التابع**"[٣] وعبّر عن هذين النوعين بمصطلحات وعبارات مختلفة تدور في المعنى نفسه، نحو: "**القصد الأول والقصد الثاني**"، و"**الدلالة الأصلية والدلالة الثانية**"، و"**المعنى الأصلي والمعنى التابع**"، و"**الظاهر والباطن**" و"**العزيمة والرخصة**"، ويقول عن هذين الأخيرين: «فإن العزيمة من حيث كانت كليّة هي مقصود للشارع بالقصد الأول، والحرجُ من حيث هو جزئي عارض لتلك الكلية، إن قصده الشارع بالرخصة، فمن جهة القصد الثاني»[٤]. فصفة المعنى الكلي هو "للعزيمة" (القصد الأول)، ووصفه الحرج بالجزئي العارض للكلّ هو "للرخصة" (القصد الثاني)، ويكون لعذر أو لغرض، وقد أشار إليهما قبلاً: "الغزالي" و"الرازي"[٥] وفي هذه الثنائية يقول "أحمد الرّيسوني": «إنّ للأحكام الشرعية مقاصد أساسيةً، تعتبر الغاية الأولى والعليا للحكم، ولها مقاصد ثانويةً تابعة للأولى»[٦].

وبهذا يُعْنَى "الشاطبي" وعلماء أصول الفقه بـ "**القصد الأصلي**" من جهة كونه «ألفاظ وعبارات مطلقة، دالة على معان مطلقة وهي الدلالة الأصلية»[٧]، و"**القصد التابع**" باعتباره «ألفاظ وعبارات مقيّدة، دالة على معانٍ خادمة، وهي الدلالة التابعة»[٨]، ويعتبر هذا الثاني خادم للأصل[٩]، ثم يشرحهما

---

[١] – أحمد الرّيسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، ص١٧.

[٢] – الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، ج٢، ص٣٧.

[٣] – المصدر نفسه، ج٢، ص١٣٤.

[٤] – المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٣– ٢٦٤، وج٢، ص٥١ و٧٢، وج٣، ص٢٨٦.

[٥] – الغزالي، **المستصفى**، ج١، ص٣٢٩. والرازي، **المحصول في علم أصول الفقه**، ج١، ص١٢٠.

[٦] – أحمد الرّيسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، ص ٣٠٠. وقد سماها بـ: "أمر ابتدائي"، و "أمر تبعي". المصدر نفسه، ص٣٠٠.

[٧] – الشاطبي، **الموافقات**، ج٢، ص٥١.

[٨] – المصدر نفسه، ج٢، ص٥١.

[٩] – المصدر نفسه، ج٢، ص ٧٢.

بشكل مفصّل وبطريقة أخرى: «فالجهة الأولى هي التي تشترك فيها جميع الألسنة وإليها تنتهي مقاصد المتكلمين ولا تختص بأمة دون أخرى [...] ويمكن في لسان العرب الإخبار عن أقوال الأولين [...]. أما الجهة الثانية، فهي التي يختص بها لسان العرب في تلك الحكاية وذلك الإخبار؛ فإن كان خبر يقتضي في هذه الجهة أمورا خادمة لذلك الإخبار بحسب المُخبِر، والمُخْبَر عنه، والمُخْبَر به، ونفس الإخبار في الحال والمساق، ونوع الأسلوب: من الإيضاح والإخفاء، والإيجاز والإطناب وغير ذلك»[١].

إذن، فالقصد نوعان أو ضربان؛ "قصدٌ أصليٌّ" عامٌ، ومباشرٌ، ومشتركٌ بين الألسن من غير الاختصاص بأمة دون أخرى، ويمكن الإخبار به عن أقوال الأولين، وبعبارة أخرى، هو القصد المرتبط والمفهوم بقواعد اللّغة والمعاني المعجمية المشتركة، أما "القصد التابع" فهو الخاص وغير المباشر كونه الهدف المقصود إليه، وهذا الضرب يستعين بعوامل مساعدة ومرتبطة به تكمن في حالة المُخْبِر والمُخْبَر عنه والمُخْبَر به، والحالة النفسية، ونوع الأسلوب، والسياق وغيرها.

يبدو من خلال كلام "الشاطبي" أنه ربط القصد الثاني/ التابع بـ"**السّياق**"، و"**مقتضى الحال**" ليضيف قائلاً: «ثم يتنوّع أيضا [المُخْبَر عنه] بحسب تعظيمه أو تحقيره وبحسب الكناية عنه والتصريح، وبحسب ما يقصد في مساق الإخبار، وما يُعطيه مقتضى الحال»[٢]، فمخاطبة المتلقي تكون بمقاصد تختلف من تحقير إلى تعظيم إلى تصريح إلخ، حسب السياق المفروض ومقتضى الحال، ليتلون القصد «بألوانٍ عديدةٍ يمنحها إيّاها: الاستعمال (اللغة/الدلالة)، السياق، التلقي»[٣].

وإذا جئنا لكتاب "**تفسير القرآن الحكيم**" لـ "**محمد رشيد رضا**" (ت١٣٥٤هـ) نراه قد أعطى مفهوما للثنائية القصدية من خلال ربطها بـ"**الفقه**" في معرض حديثه عن غفلة القارئين للمعاني الباطنية العميقة المقصودة والانشغال بالمعاني الطافية الظاهرة، وكان كلّ ذلك بأسلوب سخريةٍ وتهكّمٍ من خلال شرحه لقوله تعالى: (**فَمَالِ هَؤُلاَءِ القَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا**) [النساء/ ٧٧] يقول: «فما بال هؤلاء القوم وماذا أصاب عقولهم حال كونها بمعزل عن الغوص في أعماق الحديث وفهم مقاصده وأسراه[...] وإنّما يأخذون ما يطفو من المعنى على ظاهر اللفظ بادئ الرأي، والفقه معرفة مراد صاحب

---

[١] – المصدر نفسه، ج٢، ص٥١.

[٢] – المصدر نفسه، ج٢، ص٥١– ٥٢.

[٣] – نعيمة سعدية، **شعرية المفارقة بين الإبداع والتلقي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، دورية، ص١٥٣.

الحديث من قوله وحكمته فيه من العلّة الباعثة عليه والغائية له»[١]، فاستغرب عقول القوم واهتمامها بالظاهر فقط بسبب أنّها غدت لا تفكّر ولا تتدبّر في آيات الخالق، فلمعرفة مراد وقصد الحديث لابدّ من صرف اللّفظ عن الظاهر الحقيقي إلى مجازه، حتى أنّه وصف الذي يطلب فقه القول، وعمقه، والتغلغل في أنحائه وأسراره بـ "**العاقل الرّشيد**"[٢] وما دون ذلك وصفه بـ "**الجاهل الغبيّ طول العمر**"[٣].

ويمكن أن **نُمثّل لهذه الثنائية القصدية عند الأصوليين** بمجموعة من النّصوص الدينيّة، وهذا ما نجده عند "**الآمدي**" (ت٦٣١هـ) الذي سمّاها بمصطلح "**دلالة المنطوق**" و"**دلالة المفهوم**"[٤] ومثّل لهما بقوله تعالى: ﴿**فَلاَ تَقُل لهُما أُفٍّ**﴾ [الإسراء/٢٣] التي تحمل دلالة التأفيف للوالدين[٥] كما هي منطوقة في الظاهر، هذا بالنسبة للدلالة الأولى (القصد الأول)، أما عن الدلالة الثانية (القصد الثاني) فيمكن أن تظهر في "**الاحترام**"، و"**الطّاعة**"، و"**الرّحمة**"، و"**العطف**"، وقد عبّر "الآمدي" عن هذا النوع أيضا- خاصة الأصوليين- بعبارة "**فحوى الخطاب**"[٦].

وكذلك في قوله تعالى: (**وَحَملُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاَثُونَ شَهْرًا**) [الأحقاف/١٤]، وقوله: ﴿**وَفِصَالُهُ في عَامَيْنِ**﴾ [لقمان/١٣] فـ«أقل مدة الحمل ستة أشهرٍ وإن لم يكن ذلك مقصوداً من اللّفظ»[٧]؛ فَشَرْحه للآية الكريمة كان تنبيهًا لمقصوده؛ في أنّ أقلّ مدّة الحمل ستة أشهر وهو باطن الكلام المراد والمقصود لا ظاهره.

وهذا ما نستبينه كذلك في تفسير قول "**الرّسول صلّى الله عليه وآله سلم**": **{فِيمَا سقتِ السَّمَاءُ العُشُر، وَفِيما سقي بنضج أو دَالية نصف عشر}** (رواه أحمد ومسلم)، فيقول: «ليس بحجة في إيجاب العشر ونصف العشر في الخضراوات، لأنّ المقصود الذي سيق الكلام لأجله، إنما هو الفرق بين العشر لا

---

[١] - محمد رشيد **رضا**، **تفسير القرآن الحكيم**، ج٥، ص٢٦٧.

[٢] - المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٧.

[٣] - المصدر نفسه، ج٥، ص٢٦٧.

[٤] - جزّأ "**الآمدي**" الدلالة إلى ثلاثة أجزاء: "**دلالة الاقتضاء**"، و"**دلالة الإشارة**"، و"**دلالة المفهوم**"، وكلّها تدور في فكرة تجاوز المعنى اللّفظي الظاهر إلى فهم المعنى المقصود الباطن والمضمر، وفي الدّلالة الأخيرة قسّمها إلى قسمين "**دلالة المنطوق**" و"**دلالة المفهوم**". **الإحكام في أصول الأحكام**، ج٣، ص٨١ و٨٤.

[٥] - المصدر نفسه، ج٣، ص٨٤.

[٦] - "فحوى الخطاب"، و"لحن الخطاب" والمراد (معنى الخطاب) وهو "مفهوم الموافقة". المصدر نفسه، ج٣، ص٨٤ و٨٨.

[٧] - المصدر نفسه، ج٣، ص٨٣.

بيان ما يجب فيه العشر ونصف العشر»[١]، حيث نبّه لهدفه –وهو باطن الكلام لا ظاهره– الذي هو الفرق بين العُشر ونصف العُشر لا بيان ما يجيء في كليهما من خضراوات أو غيرها، فتَجاوزَ الظاهر إلى الباطن وهو المراد والمقصود لأجل إفادة المخاطب.

ويكثر "الشاطبي" من الأمثلة القرآنيّة في سياق "القصد الأول" و"القصد الثاني" مع استظهار القصد الثاني الضمني على غرار الأصوليين الآخرين، منها استشهاده لقوله تعالى: ﴿**وَمِن آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِن أَنفُسِكُم أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا**﴾ [الروم/ ٢١] وقوله: ﴿**وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُن إِلَيْهَا**﴾ [الأعراف/١٨٩] يقول: «إنّ المقصود بالنكاح التناسل وهو القصد الأوّل، وما سواه من اتّخاذ السّكن ونحوه بالقصد الثاني»[٢]، فالغرض الحقيقي من النّكاح يكمن في "التّناسل" وهو القصد الأوّل، أمّا القصد التابع المرتبط والخادم للأوّل فهو "السّكن" و"الاستقرار" و"الطمأنينة".

ب. عند البلاغيين

أمَّا عند البلاغيين، فسنجد أغلب علمائهم قد تحدثوا عن القصد، والذي تناوله بشكل مفصّل "**عبد القاهر الجرجاني**"(ت٤٧١هـ)، حيث ذكر مصطلح القصد ومرادفاته بكثرة، شارحاً إيّاه بأنّه تجاوز معنى الكلمة التي وُضعت في الخطاب قاصداً بها لمعنىً غيره مقصوداً له، يقول: «أنك ذكرت الكلمةً وأنت لا تريد معناها ولكن تريد معنى ما هو ردف له أو شبيه فتجوزت بذلك»[٣]، وقد قسّم "عبد القاهر الجرجاني" المقاصد أو المعاني إلى ضربين –شأنه في ذلك شأن الأصوليين– بمصطلحات مختلفة الشكل متقاربة الدلالة، منها: "**معاني الأوّل ومعاني الثّواني**"، و"**المعنى ومعنى المعنى**" ، و"**لفظيةٍ أوليّةٍ ومعنويةٍ ثانويّةٍ**"[٤].

ومثله في ذلك "**أبو حازم القرطاجني**"(ت٦٨٤هـ) الذي صرّح بقوله: «فتكون معاني الشعر منقسمة إلى أولٍ وثوانٍ»[٥]، وقد اصطلح عليها أيضا بـ"**جهات الأوّل وجهات الثّواني**"، و"**الغرض الأوّل والغرض الثّاني**"، و"**الظاهر والباطن**"، و"**معاني الأوّل ومعاني الثّواني**"[٦]؛ فأما الضرب الأول فالمقصود به «المعنى

[١] – المصدر نفسه، ج٢، ص٧٦.

[٢] – الشاطبي، **الموافقات**، ج١، ص٢٦٣، وج٢، ص٧٤ و٣٠٣.

[٣] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص١٩٦.

[٤] – المصدر نفسه، ص ١٧٧– ١٧٨.

[٥] – أبو حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٢٣.

[٦] – المصدر نفسه، ص٢٣، و٢١٦، و٣١٤، و٣٥٠.

المفهوم من ظاهر اللّفظ والذي تصل إليه بغير واسطة»[١]، وبعبارة أخرى، «تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج عن الحقيقة فقلت :خرج زيد»[٢]، وأما الضرب الثاني، فهو: «أن تعقل من اللفظ معنىً يفضي بك ذلك المعنى إلى معنىً آخر»[٣]، وأيضا قوله « أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالةً ثانيةً تصل بها إلى الغرض ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل»[٤] فيُذكر تابعاً لغيره ومتعلقاً به[٥].

فالمعنى الأوّل، معنىً حقيقي- بلغة البلاغيين- يُفهم من ظاهر اللفظ ومتن الكلام ويكون بإخبار عن حقيقة، وهو القصد المقول/التقريري/المصرّح به، والمشترك، والمفهوم عند الجميع، في حين المعنى الثاني هو المعنى المجازي/الإيحائي/التلميحي ويكون بالتعريض، يتجاوز المعنى الحقيقي إلى معنىً آخر هو المقصود إلاّ أنّه غير مذكور في متن الكلام كالاستعارات والمجازات وغيرها، فمجيئه غير مصرّح به للسّامع «أفخم لشأنها، وألطف لمكانها [...] كان له من الفضل والمزيّة ومن الحسن والرونق ما لا يقلّ قليله»[٦]، إضافة لذلك هو متعلّق بالمعنى الأوّل ونستنتجه منه كونه السبيل للوصول إليه فـ « المستوى التقريري هو منطلقنا الأول وسبيلنا للوصول إلى مستواه الإيحائي»[٧]، ولا يمكن حصره بسبب كثرة التفاوت لارتباطه بالسياق من جهة، ومن جهة أخرى، لكثرة الاستطرادات والإحالات فيه حسب "أبو حازم"[٨].

ومن بين **أمثلة الثنائية القصدية عند البلاغيين** نجد "الجرجاني" يتزعّمهم من خلال كتابه "دلائل الإعجاز"، فقد مثّل لهذين المقصدين بقوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ**﴾ [الزمر/١٠] فراح يقول: «ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه، نحو أنّا نعلم أن ليس الغرض من قوله تعالى أن يعلم السامعون ظاهر معناه، ولكن أن يذم الكفار وأن يقال أنهم من فرط العناد ومن غلبة الهوى عليهم في حكم من ليس بذي عقل وإنكم إن طمعتم منهم في أن ينظروا ويتذكّروا كنتم كمن طمع في ذلك من غير أولي

---

[١] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص ١٧٧.

[٢] – المصدر نفسه، ص ١٧٧.

[٣] – المصدر نفسه، ص ١٧٧.

[٤] – المصدر نفسه، ص ١٧٧.

[٥] – أبو حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٢١٦.

[٦] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص٢٠٤.

[٧] – نبيلة سكاي، **التخيل والقول بين حازم القرطاجني وجيرار جينيت**، (رسالة ماجستير)، ص١٥٠ و١٥١.

[٨] – أبو حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٢١٦– ٢١٧.

الألباب»[١]؛ ففي شرحه يتجاوز ظاهر المعنى إلى الباطن ومن الصريح إلى الضمني المقصود وهو "ذمّ الكفار". ومثال ذلك في "دلائل الإعجاز" قول أحد الشّعراء:

أَنَا لَمْ أُرْزَق مَحبَّتهَا إِنَّمَا لِلعبدِ مَا رُزِقَا

وقد علّق عليه "الجرجاني" بقوله: «الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنّه قد صار ينصح نفسه ويعلم أنّه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ويأس من أن يكون منها إسعاف»[٢]؛ فالمقصد الظاهر يتمثّل في (عدم رزق المحبة) والمقصد الضمني هو (نصح النفس بقطع الطمع من وصل المحبوبة لأنّها لا تُسعفه ولا تبالي به وهذا نابع من حكمته).

ومثله كأن يُقال لرجل احتال على صاحبه حتى يُميله إلى شيء قد كان يأباه ويمتنع منه: «مازال يفتل في الذّروة والغارب حتى بلغ منه ما أراد»[٣]، حيث شرح "الجرجاني" الثنائية في هذا المَثل من خلال تبيين المعنى الظاهر والمعنى المراد الخفي فالأوّل «كان منه فتل في ذروة وغارب»[٤] وهو القصد الصريح الذي يقف عند الظاهر فقط عند القراءة ومعروف لدى جميع القرّاء، أمّا الثاني فهو «أنّه لم يزل يرفق بصاحبه رفقا يُشبه حاله فيه حال الرجل يجيء إلى البعير الصّعب فيحكُّه ويفتل الشعر في ذروته وغاربه، حتى يسكن ويستأنس»[٥] وهو القصد الضمني يدركه القارئ بتمعّنه في المَثل وتوظيف السياق ليكون المعنى (الرفق بصاحبه الصّعب حتى يهدأ فينال منه ما يريد). في حين نجد "القرطاجني" مثّل ببيت "النابغة":

وَلاَ عَيْب فِيهم غَير أَن سُيُوفهم بِهِنَّ فلُول من قرَاع الكتائِب

حيث راح يقول فيه: «فجمع بين الحمد وما يوهم أنّه ذمّ، وهو في الحقيقة مدح»[٦]؛ فمن خلال كلامه يظهر أنّ المقصد الأوّل هو (الذم)، والمقصد الثاني هو (المدح).

كما نجد هذه الثنائية القصدية في تحليل البيت الشّعري التّالي "**لابن خفاجة الأندلسي**":

هُنَيدَ أوجَعتِ قَلبًا قد أقَمتِ بهِ، مَا بَالُ طَرفِي، ومَا يُدرِيكِ، يَكِيكِ[٧]

---

[١] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص٢٣٢.

[٢] – المصدر نفسه، ص٢٣٢.

[٣] – عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، ص٦٩.

[٤] – المصدر نفسه، ص٦٩.

[٥] – المصدر نفسه، ص٦٩.

[٦] – أبو حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ص٣٥٠.

[٧] – ابن خفاجة، الديوان، ص٣٧٥.

فعدل الشاعر من صيغة (فِعْل) إلى (فُعَيْل) أي من (هِنْد) اسم امرأة إلى (هُنَيْد) **لمقصد ظاهريّ** يراه في الثانية ولا يراه في الأولى والمتمثّل في **إكساب التعبير جمالاً بصيغة التصغير** من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى، **لمقصد ضمني**، هو المقصود، يكمن في مراعاة نفسيته **الحزينة المتوجّعة** نتيجة شوقه لها طوراً، وطوراً آخر يقصد من ذلك التّدليل على **كبر شأنها وعظمتها** في قلبه الذي سكنت فيه قديما وأقامت به طويلاً، مع إضفاء نوع من **التَّغَنُّج** بها حتى راح يبكي عليها و"هند" لا تدري بحاله[١].

الثّنائيّة القصديّة في الدّراسات الغربيّة

مثلما كان للعلماء العرب القدامى نصيبهم الوافر في حديثهم عن فكرة الثنائية القصدية في صفحات كتبهم، كذلك كان للدارسين الغربيين، مهما تشعّبت تخصّصاتهم واهتماماتهم، حصةً أوفر في تحليلهم لهذه الفكرة وتوسّعهم فيها حتى وصلت إلى علامات الترقين.

ارتبط "القصد" في الدّراسات الغربية بعلوم اللغة نحو: "الدلالة"، و"الأسلوبية" وخاصة "التداولية"، كون هذه الأخيرة تَعْتَبِر (المقاصد) من أهم مباحثها إضافة لـ "الافتراض المسبق"، و"الاستلزام الحواري"، و"السياق"، و"الإشاريات"، و"أفعال الكلام"، و"الحجاج"، لتفرز التداولية على إثرها دارسين كُثُر ومؤلفات عديدة تؤسِّس، وتُنَظِّر، وتُطبِّق لها، من ضمنها "القصد"، بل إنّه يُعدّ أساسها وجوهرها، حتى سماها البعض بـ"المقصدية" أو "علم المقاصد" أمثال: "**جون سيرل**" (J.Searle) .

أ. عند التداوليين

ومن بين الدارسين المؤسّسين للتداولية "**أوستن**" (J. Austen) في مصنّفه الشهير "**أفعال الكلام**" الذي تحدّث عن القصد وأشار إلى الثنائية القصدية بأمثلة فيقول: «ومن أمثلة ما اعتراه سوء النية واحتمل غير قصده قولي: "إنّي أعد" مع أني لا أنوي أن أنجز ما وعدت، وقولي: "إنّي أراهن" وأنا لا أقصد أن أدفع شيئاً، وقولي: "أنّي أعلن الحرب" وإن كنت لا أريد أن أخوضها»[٢]؛ فاحتمال غير قصده يظهر في قول شيء ظاهري صريح، ولكن يقصد وينوي أمراً آخر ضمنيا وغير صريح، وهذا الأخير هو الهدف المنشود.

في حين نجد مجموعةً من الكتب تناولت قضية "القصد" منها كتاب "**القصدية**" (Intentionality)[٣] لـ"**جون سيرل**"(J.Searle)، حيث يعرّفها- القصديّة- من خلال تفريقٍ بينها

---

[١]- ينظر، مريم أقرين، العدول ومقاصده في ديوان "ابن خفاجة الأندلسي"، ص٥٨، ٥٩.

[٢] - أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص٥٥.

[٣] - جون سيرل، **القصدية بحث في فلسفة العقل**، ص٢١.

وبين "القصد" فيقول: «تعني "القصديّة" التوجه، ويعني "القصد" قصد عمل شيءٍ معينٍ، ومجرّد نوعٍ من أنواع القصدية أو إحدى صورها»[١]، ثمّ يضيف: «تُعدُّ المقاصد والقصد مجرد صورة من صور القصدية»[٢].

وأشار إلى أنّ الفعل الكلامي –حسبه– يُنتج نوعين من المضامين؛ "**مضمون لغوي**"، و"**مضمون قصدي/تمثيلي**"؛ فأما الأول فهو القضية الأساسية التي يدور حولها الكلام ومتحققة باللغة فقط، حيث يقول : «قد يُعدّ من الأفضل استخدام مصطلح "المضمون اللّغوي" (القضية) على تلك الحالات التي تتحقق لغوياً فقط»[٣]، وأما الثّاني فهو المضمون أو القصد المستنتج من المضمون اللّغوي، فقد يصرّح به ويتمظهر لغوياً، وقد لايعبّر عنه فلا يتحقّق باللّغة، يقول: «واستخدام مصطلح المضمون التمثيلي أو المضمون القصدي كمصطلحين أكثر عمومية حتى يضمّا كلاًّ من الحالات القصدية المتحققة لغوياً وتلك التي لا يتم التعبير عنها لغوياً أو لا تتحقق باللغة»[٤].

والفكرة نفسها نجدها عند القدماء العرب في كون المعنى المقصود نوعين؛ واحد لغوي أوّليّ يُفهم من الكلام المنطوق/المكتوب، والآخر يُلمح ويُفهم من التّعريض. وقد جسّدت "**ك .أوريكيوني**" (C.K.Orecchioni) هذين النوعين في المخطّط الآتي[٥]:

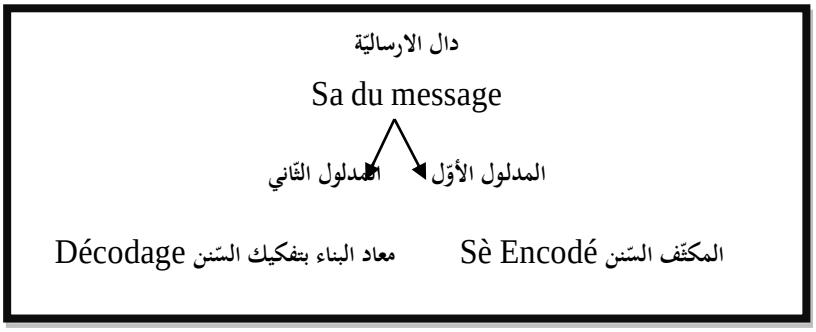

فالمخطّط يُبيّن أن الكلام المرسل يحمل مدلولين: فـ"المدلول الأوّل" وهو الأصلي المتعارف عليه "**وفق السّنن**" والقواعد المكثّفة (Sè Encodé) (السّنن المعجميّة)، كما أنّه يتحدّد بالاعتماد على السّياق

[١] – المصدر نفسه، ص٢٤.

[٢] – المصدر نفسه، ص٢٣.

[٣] – المصدر نفسه، ص٢٧.

[٤] – المصدر نفسه، ص٢٧.

[٥] – أوريكيوني، **فعل القول من الذاتية في اللغة**، ص٢٢.

اللّغوي، وهو"**المضمون اللّغوي**" بتعبير "سيرل"، و"المدلول الثاني" هو الذي يُعاد فيه النظر "**بتفكيك السّنن**" (Décodage) والقواعد المكثّفة، ويتحدّد حسب قصد المتكلم والسّياق الحالي المتضمن فيه الكلام، وبمصطلح سيرل" هو "**المضمون المقصود**".

وهو ما يمكن أن نسميه بـ"**القصد الثّابت**" و"**القصد المتحوّل**"، فالأول ثابت لأنه "معجمي" متفق عليه في حذ ذاته، و الثاني "متغير" كونه وليد العملية التأويلية، إلاّ أن هذا الأخير هو المعنى النّهائي؛ لأنّ القصد المعجمي الثّابت (القصد الأوّل) عامل مُسهّل لعملية الانتقال إلى المستوى الثّاني (القصد المتحوّل) عبر البحث عن الحيّز المشترك بين كلا المقصدين، والانطلاق من خلاله –القصد الأول- نحو تحديد القصد النّهائي، وهذا الأخير يمكن أن يتعدّد بتعدّد القراءات، وهو ما يضمن للنّص الشّعري حياة متجدّدة. ففي "**المقاصد حياة للنص**"، يفقهها أهل التأويل.

ب. عند الأسلوبيين

أمّا الباحث الأسلوبي "**جون كوهين**"(J.Cohen)، الذي أورد في كتابه حديثا عن "**القصد**" لاسيما الضّمني، فيقول: «فالقصيدة لها معنىً وهذا المعنى يجب معرفته»[١]؛ حيث أشار إلى أن القصيدة لها قصد ومعنى معيّن ويجب على الدارس التوصل إليه، خاصة وأنه قد ركّز في مصنّفه على دراسة النصوص الشعرية للشعراء الغربيين، ومثال ذلك بيت شعري من قصيدة "**فاليري**" (P. Valéry) الذي يقول فيه: «فإذا أخذنا فاليري:

سطح هادئ تمشي عليه اليمامات.

.Ce toit tranquille ou marchent des colobes

ولم نفهم أن **السطح** يعني **البحر** و**اليمامات** تعني **السفن**، فإننا نبتعد عن مقصد الشاعر [...] "وجود سفن تسير على سطح بحر هادئ"»[٢]؛ فالشاعر قال ألفاظا لها معانٍ ظاهرة إلا أنه عني بها دلالات أخرى تُعرف حسب السياق الذي نُظمت فيه، فاختار كلمات ورتّبها لمقصد معين وعلى القارئ التوصل له، ليتجاوز القصد الأوّل الظاهر في تلك "**اليمامات التي تمشي على السطح**" إلى القصد الثّاني المتحقّق في "**السفن المارة، في هدوء، على البحر**".

وفي الفكرة ذاتها ضرب **أمثلة** كثيرة من حيث إنّنا إذا لم نفهم معنى الحرف أو الضمير أو الظرف أو الكلمة، لن ندرك المقصد الضمني المرجو من نظم الخطاب، ومنها المثال الآتي:

---

[١] – جون كوهين، **النظرية الشعرية**، ص٦٥– ٦٦.

[٢] – المصدر نفسه، ص٦٥– ٦٦.

«يا طفلتي شقيقتي

فلتحلمي باللّحظات الناعمة...» [١]

حيث راح يقول معلّقا: «لمن تتوجّه هذه الكلمات؟ بالتأكيد إلى امرأة لكن هذا كلّ ما تقدّمه القصيدة لمن هويتها فالطفلة الأخت تظلّ امرأة بلا اسم وبلا وجه، إنّها غير محدّدة كما أنّ الذي يخاطبها غير محدّد [...] فكما نرى لم تعد "أنا" مجرّد مرسل لرسالة، فالضمير هنا يعود إلى معنىً جديد ليس مدوناً في قانون العرف اللغوي وهو مع ذلك منبعث منه» [٢]؛ فطرح كلّ هذه الأسئلة مع نفسه ليصل للمقصود من هذه الكلمات، إنها امرأة لم يعرف هويتها لا من هي... لأنّ القصيدة —حسب رأيه– لم تقدّم الكثير، وحتى الضمير "أنا" أصبح يحمل معنىً جديداً ليس مدوّنا في العرف اللّغوي الصريح الواضح والمعروف، بل له معنى ضمني تلميحي وفي الوقت نفسه هو منبعث منه (العرف اللغوي) وهذا راجع لعدم معرفته بالسّياق.

فيبقى النّص في "**حالة نموذجيّةٍ من الغموض**" [٣] كما سماه "**ريفاتير**" (M. Riffaterre)، لتكون اللفظة أو الكلمة هي المحور، لأنها تحمل القصد الذي يريده المتكلّم ويقصد إليه (معنى ضمني مقصود)، وفي الوقت نفسه تحمل الكلمة القصد الذي تريده هي وتقصد إليه (معنى لغوي) [٤].

وقد أشار"كوهين" إلى نوعين من المعنى–مثل العرب– وهما: "**المعنى الحرفي**"، و"**المعنى الصوري**" [٥]، أمّا "**روبول**"(A. Reboul) و "**موشلار**" (J. Moeschler) فسارا في النهج نفسه وقسّما المقصد إلى قسمين: "**تواصليّةٍ موضعيّةٍ**"، و"**تواصليّةٍ جماليةٍ**"، وخصّا الأوّل (بالقول) والثاني (بالخطاب) [٦]، ووضع "**بيير جيرو**" (P. Guiraud) ثلاث قيم للتعبير هي: "**القيمة المفهومية أو العامة**"، و"**القيمة التعبيرية**"، و"**القيمة الانطباعية أو القصدية**" [٧]؛ فالقيمة الأولى والثانية يمكن أن تجسّد (القصد الأول)، والقيمة الثالثة يمكن أن تحقّق (القصد الثاني).

---

[١] – المصدر نفسه، ص١٨١.

[٢] – المصدر نفسه، ص١٨١.

[٣] – مايكل ريفاتير، **دلائليات الشعر**، ص٢١.

[٤] – أوريكيوني، **فعل القول من الذاتية في اللغة**، ص ٢٠.

[٥] – جون كوهين، **النظرية الشعرية**، ص٣٢٧.

[٦] – آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم**، ص ٢٠٦ و٢١٦ –٢١٧.

[٧] – بيير جيرو، **الأسلوبية**، ص٥٢.

ومن **الأمثلة** التي يمكن أن نسوقها قول أحدهم: "**أراهن على ذلك**.." وهو يقصد في النهاية "**التّحدي**" ، حيث تجاوز القصد المباشر وهو الرّهان المادي المتحقّق في "**المال**"، إلى القصد غير المباشر الظاهر في "**التحدّي والمغامرة**" وهو جانب معنوي.

وهناك مجموعة من الدّراسات الغربيّة التي خاضت في مجال التحليل التطبيقي لتغيّر المعنى والمقصد الضمني متجاوزة المقصد الظاهر وتكمن في "**علامات الترّقين**"[١] (la ponctuation)، أين راح الدارس "**كلود**"(D. Claude) يُمثّل من الأدب الفرنسي خاصة هذه الحكمة الأكثر شهرة[٢]:

Je suis venu, j'ai vu, j'ai vaincu.

لقد جئت، فرأيت، فانتصرت.

حيث بدأ عمله بالرجوع إلى القاموس الفرنسي (Larousse) وحدد دور (الفاصلة) في النص، فمعناها الحقيقي الظاهري في الجملة وهو (الانتظار، التأمل، الاستيعاب؛ لأن الفاصلة في الجملة تشغل الأذن والذاكرة معا)، ثم حلل المعنى الضمني: فكانت الفاصلة في هذا المقطع تعطينا امتياز تحليل المعنى، كونها تختصر لنا خطبة بأكملها (كما هو مذكور في الهامش).

ثم استبدل (الفواصل) في البيت نفسه بـ(فواصل منقوطة) ليستخلص نتائج هذا الاستبدال على المعنى الضمني؛ فالفواصل المنقوطة تقضي على الرتابة والبطء الذي تحدثه الفاصلة في الجملة، وكلّ ذلك مرتبط بالمرسل الذي يتّخذ قرار وضع الفاصلة أو الفاصلة المنقوطة بحسب ما يريد ويقصد إرساله من معاني ضمنية للمتلقي، ولأهمية وثقل الرسالة المراد إيصالها دور في ذلك أيضا، كما أن ردود فعل المتلقي ستكون مختلفة باختلاف "**علامات الترقين**" التي تفصل الكلمات في المقطع أعلاه. ثمّ استبدل الدارس الفواصل بعلامة (–)، فكانت: Je suis venu – j’ai vu – j’ai vaincu.

---

١ – المقصود هنا بالترقين la ponctuation (وليس الترقيم la numérotation) هو عملية تنظيم النص عن طريق مجموعة من الحركات والعلامات المرسومة (النّقاط والفواصل). لهذه العملية العديد من الوظائف تتعلق أساسا بالفصل بين أجزاء الكلام وتحديد مواطن التوقف والاقتباس وإظهار التعجب والإستفهام، كما تبرز العلاقات النحوية بين مختلف العناصر المشلكة للخطاب، كما تسهم في تحديد المعنى وإبراز العلاقات المنطقية بين مختلف عناصر هذا الخطاب (المعلومات الدلالية). وبوجه عام، تهدف لتسهيل فهم النص، بإتعبارها عنصر أساسي في عملية التواصل المكتوب.

٢ – هذه حكمة مشهورة وأصل العبارة باللاّتينية: (Veni, Vidi, Vici) وقد قالها "يوليوس قيصر" في خطبة مشهورة له، في أحد حروبه الشهيرة سنة ٤٦ ق، م. ومعناها: "جئت، فرأيت، فاحتللت". وهي أقصر خطبة في التاريخ. وهي اليوم الشعار الذي يعتمده "فيليب موريس P. Morris" مؤسس شركة "مالبورو"(Marlboro) للسّجائر. فعلبة السّجائر بالنسبة للزبون: (يأتي، يراها، فتحتله). ينظر:http://fr.wikipedia.org/wiki/Veni,_vidi,_vici

بهذا تجاوز الكاتب المعنى الظاهري للعلامة وهو (**الاعتراض**) و(**الفصل**) بين مقاطع الكلمات إلى المعنى الضمني وهو (**لأنّه**)؛ (لأنني قد جئت فقد رأيت ولأني قد رأيت فقد انتصرت)، وهذا يعطينا معنى دراماتيكي. إن هذه القراءة ليست مرتبطة بموقف المتلقي ومزاجه وميوله، ونزعاته، ورغباته، وأحكامه[١] فحسب، بل أيضا بمفهوم السياق المثار مسبقا والذي يسلط الضوء على شخصية المخاطب ويسمح لنا بالحسم في اختيار أحد التأويلات الممكنة[٢].

ثم واصل الباحث استبدال العلامات الترقينية الفاصلة بين هذه المفردات تارةً (بالفاصلة المنقوطة) وتارةً أخرى (بالنقطة) ثم يولّد معانٍ جديدة عن هذا الاستعمال المقصود لتلك العلامات بين مفردات الجملة الواحدة، فتتعدد التأويلات ويتكثف المعنى المقصود.

وفي وجهة نظر "**كلود**" (D. Claude) المتميزة، فإن فكرة الانزياح الترقيني تسمح لنا من جهة بمحاكمة مفهوم العدول بالنسبة إلى قاعدة أساسية ومن جهة أخرى، بتقدير قيمة المضامين المنجزة عن طريق الصياغات الترقينية المتعددة، والمقترحة للخطاب نفسه، خاصة إذا تمّ النّظر إلى الانزياح وكأنه صادر من المرسل إليه (المخاطَب)، فهذا الأخير مسؤول بشكل كبير عن تحديد القصدين الأول والثاني، وبالتالي سيُعتبر فوراً حاملاً لمعنى ضمني (دلالة)، بل لدلالاتٍ، تسمح بتنويع ومضاعفة مخطّطات القراءة للإشارات التي تشغلنا هنا وتفتح لنا تعددّية التّفاسير[٣].

إنّ استخدام العلامات الترقينية بشكل غير مألوفٍ في نواميس وأعراف اللغة، أو عدم استخدام الترقين أصلا، بشكل ينتهك قانون الترقين النثري، الذي يلزم بها، يحمل دون شكّ مقاصد أخرى خلف هذا الخروج، يجعلنا نقول، بحذر، بوجود ثنائية قصدية متولّدة عن هذا الخروج عن النمط المعتاد. وكما ضربنا أمثلة في اللغة الأجنبية تعكس أهمية علامة الترقين في المقصد المبتغى وتعدّده، يمكن أن نضرب مثالا في اللغة العربية من القرآن الكريم والشعر لنزيد الفكرة قوّة. ففي نحو ذلك نجد البيت الشعري لـ"**امرئ القيس**" يجلّي لنا ما نطلبه:

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مقبلٍ مُدْبرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ[٤]

1- Wolfgang Iser, L'acte de lecture: théorie de l'effet esthétique, p .167

2-Claude Demanuelli, Points de repère: approche interlinguistique de **la** ponctuation français-anglais, p.110.

3- Ibid, P.111.

٤ – امرؤ القيس، **ديوان امرئ القيس**، ص١٩.

دون شكٍّ، هذا النص الجاهلي منزوع العلامات الترقينية. لا يمكننا فهم القصد الحقيقي لصدر هذا البيت دون علامات ترقينية تفصل بين تلك المفردات؛ فقد تكون الفاصلة (مكرٌّ، مفرٌّ، مقبلٍ، مدبرٍ) وهذا يعطي قصداً بـ "**التّأني**" و "**التريث**". في حين لو جاء النص بالترقين التالي: (مكرٌّ-مفرٌّ، مقبلٍ-مدبرٍ) هنا قد تعطى للنص "**ديناميكيةٍ**" أكثر و"**حركيّةٍ متسارعةٍ**" كانت هي القصد التلميحي الذي أراده الشاعر، ولعل لفظة "**مَعًا**" في آخر صدر البيت ما يبرر مثل هذا الاستنتاج. فصاحب "**معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**" شرح ذلك بقوله: «الفاصلة من السَّجع: بمنزلة القافية من الشِّعر، ومن هذا القبيل فواصل آيات القرآن الكريم لأنّها تفصل بين الآيات»[١]. فيمكن أن نعتبر الفاصلة في لغة الإبداع مثل الفاصلة القرآنية التي تفصل بين الآيات، وأيضا نضيف "الوقفة" أثناء تلاوة القرآن لهذه الفكرة كونهما (الفاصلة والوقف) يُحدّدان لنا المعنى وبدونهما قد يتغيّر —المعنى-، فعلى سبيل المثال قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ذَٰلِكَ الۡكِتَابُ لَا رَيۡبَ فِيهِ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة/ ٠١]؛ فلو وقفنا في القراءة على (**لاَ رَيْب**) ثم أكملنا الآية لكانت لفظة (فيه) تابعة لـ (هدى للمتقين) فالمعنى يصبح أنّ الكتاب يتضمّن هداية للمتّقين. أمّا إذا قرأنا وتوقفنا عند (لا ريب فيه) ثم أكملنا الآية فستنتسب كلمة (فيه) إلى العبارة السابقة لا اللاّحقة، هنا يتحوّل المعنى إلى أنّ الكتاب لا يتضمّن شكًّا ولا ريباً. ويظهر من خلال ذلك التشابه الوظيفي للعلامة الترقينية "الفاصلة" والوقفة في القرآن الكريم.

مسألة أخرى تناولها المفسرون بكثير من التحليل؛ تتعلق بالوقف على لفظ الجلالة: [إلا اللَّهُ] في قوله تعالى ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَابَ مِنۡهُ آيَاتٞ مُّحۡكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٞ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَاءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَاءَ تَأۡوِيلِهِۦ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَابِ﴾، (آل عمران: ٧). والقول الأول وهو قَوْلُ ابن عمر وابْنِ مَسْعُودٍ، وَأُبَيٍّ، وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَعَائِشَةَ، وَالْحَسَنِ، وَعُرْوَةَ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَأَبِي نَهِيكٍ الْأَسَدِيِّ، وَمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ، والكسائي، والفراء، والجلبائي، وَالأَخْفَشِ، وَأَبِي عُبَيْدٍ. وَاخْتَارَهُ: الطبري، والواحدي، والسمعاني، وابن جزي، والْخَطَّابِيُّ وَالْفَخْرُ الرَّازِيُّ، والشوكاني، والشنقيطي. أما القول الثاني: وهو قول ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والربيع ، وأنس، وابن قتيبة، وأبي جعفر النحاس ، ومكي بن أبي طالب، والزمخشري. وأبو السعود، وابن عاشور. وخلاصة القولين، أن الأول قال بأن الواو تكون مستأنفة في قوله تعالى (وَ الرَّاسِخُونَ...) أما الثاني فقال بأن الواو تكون عاطفة[٢].

---

١ - أحمد مختار عمر، **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، ص١٧١٤.

٢- لتفصيل أكثر حول المسألة، انظر: جمال القرش، **مسك الختام في معرفة الوقف والابتداء**. منشور في:

الحقيقة، أن مكمن الخلاف وجوهره إنما يتعلّق بموطن وضع العلامة الترقينية. فلو ذهبنا لوضع هذه الأخيرة، فاصلة كانت أو نقطة[١]، عقب لفظ الجلالة [إلا اللَّهُ] في الآية الكريمة لتغيّر المعنى كما لو أنها وضعت عقب قوله تعالى [وَٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ]. وأثر ذلك على المعنى إما بحصر علم التأويل على الله و نفيه عمن سواه من العلماء، أو بإختصاص هؤلاء به.

ومن هنا، ندعو لمزيد من الاهتمام بالعلامات الترقينية، حال صياغة المعاجم العربية، ومحاولة ضبط مفهوم دقيق لما تعنيه تلك العلامات، معجمياً، على الأقل، بشكل يجعل من استخدام اللغة أكثر عصرية، ويجعل خروج الشاعر عن ضوابط الدلالات المعجمية للعلامات الترقينية بمثابة قصدٍ ثانٍ، يستحق التنقيب عن مدلوله.

ونجد "**ديماس**"(M.C. Dumas) قد لاحظ في عمل المبدع "**ديسنوس**" (R. Desnos) الموسوم بـ "**أموال وأجساد**" "Corps et biens" الطابع الرّياضي للصيغ الشعرية، فقد وصف André Breton هذا العمل بأنه "بوح غير متوقع" لشاعر يعمل "بصرامة الرياضيات" عبر تقنية تحريكه للحروف داخل الكلمة أو إبدال مقطع منها بين كلمتين، وهذا هو المثير للغرابة والدهشة وهو "غير المتوقع في المعادلة الشعرية". ولاحظ "ديماس" أيضا أن كلمات كتاب "Rrose Sélavy"[٢] لـ"ديسنوس" تحمل دائما معنيين **ظاهراً** و **مضمراً**[٣]، عبر نسيج لغوي متلاحم:

---

https://vb.tafsir.net/

١ – كما أن الخيار بين العلامات الترقينية، في حد ذاته، يمكن أن يؤثر في المعنى، فكما أن النقطة، كعلامة ترقينية في النص، تعني الوقف التام ونهاية الجملة. تشير الفاصلة إلى وقف جزئي وإستمرارية المعنى.

2- Robert Desnos, **Rrose Sélavy**, **in**: **Corps et biens**, p 34.

اسم الكتاب غريب جدا وهو لشخصية خيالية تسمى روز سيلافي (Rrose Sélavy) وهي في الأصل من إبداع الفنان الأمريكي ذو الأصول الفرنسية "مارسال دوتشامب" Marcel Duchamp، ثم استعار هذه الشخصية Robert Desnos كعنوان لمصنّفه. لكن المشكل في التسمية أنها غير مألوفة في قواعد اللغة الفرنسية؛ فالاسم Rrose مزدوج الحرف "R"، في حين أن الأصل أن يكتب براءٍ واحدة، وقد قال Robert Desnos في الحكمة الرابعة عشر من كتابه "لا تزعجوا Rrose Sélavy لأن جنيه يرفض من وضع اللغز ويرفض "فك شيفرته" وهذه الحكمة كتبت هي الأخرى بلغة غريبة ومدهشة:

Ne tourmentez plus Rrose Sélavy car mon génie est énigme Caron ne le déchiffre pas.

لكن Marie-Claire Dumas يرى أن Rrose Sélavy ليست في النهاية إلا تلك الكلمات الخالقة للحب؛ إنها الشعرية في أقصى حرياتها التعبيرية الكلامية، وهي قراءة مستوحاة من مجمل فكر هذا الرجل.

3- Małgorzata Kuta, **Rrose Sélavy De Robert Desnos: A La Recherche Du**

يقول في المقطع ١٢٥ مثلا: « Max Ernst : La boule rouge bouge et roule »
فالمبدع استعمل كلمات متشابهة الحروف متمايزة المعنى: (boule / bouge) (roule / rouge).
هنا تظهر التقنية الأساسية التي تقوم عليها لعبة الكلمات التي يتقنها Desnos في "التغيير داخل المقاطع اللفظية"بقلب نظام–حروفها أو كلماتها–فيتغير معناها.(boule / bouge=roule /rouge).
هذا النموذج للصيغ البنيوية يشكل معظم نماذج اللعب بالكلمات في كتاب Rrose Sélavy [1]
وهو ما دفع أحد الأساتذة للقول أن للكلمة "**سلطاناً**" وأن الذّوق في المصنّفات الأدبية يفسّر بحسب الجاذبية التي تمارسها الكلمة عليه، فتستمدّ هذه الأخيرة قيمتها من كونها تحمل "**لغزاً في المعنى**"؛ وبهذا المعنى فالكلمات تشكّل داخل اللّغة "**شبكة من الإشارات**"، بينها يوجد المعنى المضمر[2]، وهو "**القصد غير المألوف معجمياً**"، لتحمله المفردة ومن ثم القصيدة، وهذا ما يعتبره أحد الدارسين "**لغة ثانيّة**" أو "**لغة داخل اللّغة**"[3]، وشرحا للعبارة الأخيرة يمكن القول: إنّ القصد الثاني (اللّغة الثانية) هو داخل القصد الأوّل ليكون ذاك تابع هذا، وهي الفكرة ذاتها التي أشار إليها علماء العربية القدماء في كون القصد الثاني تابع للأوّل ومتعلّق به. وإذا أردنا أن نلخّص فكرة الثّنائيّة القصديّة عند الدّارسين فستكون في المخطّط الآتي:

(الرّسم البياني رقم ١)

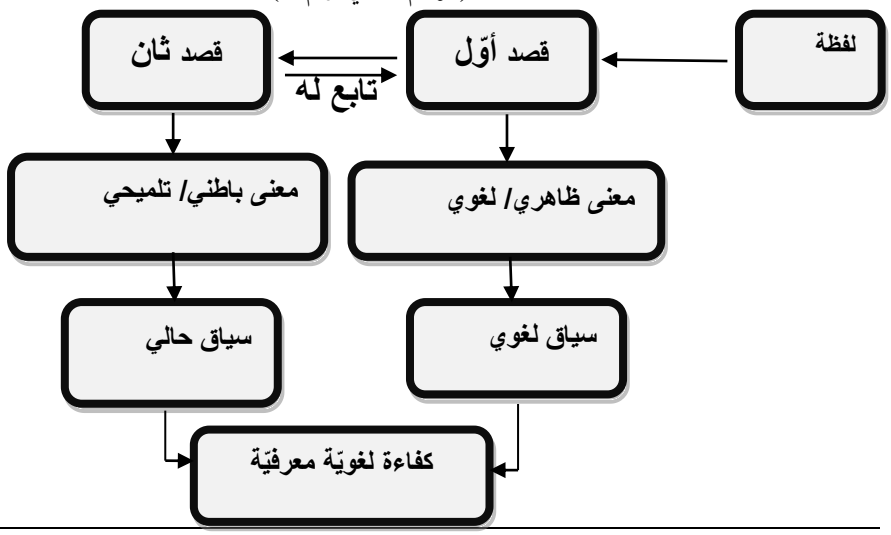

Sens Caché, Romanica Cracoviensia, p 45.
1- Ibid., p 47.
2- Kadiatou Kouadio- Bouadou, **Le pouvoir du mot, un prélude à la didactique du texte poétique d'expression française : une lecture de cri de Zegoua Gbessi Nokan**, P 52.
3- Lucien Victor, « **Grammaire et Poésie: trois exemples**», p 58.

يتجلّى من خلال الشّكل بداية ونهاية كلّ من **"القصد الأوّل"** و**"القصد الثاني"**؛ فالانطلاقة تكون من اللّفظة المرسلة من المنشئ متضمّنة "معناها الظاهري" تارةً، والمشحونة بـ "معنى باطني" تارةً أخرى وهذا الأخير هو تابعٌ للأوّل، ولا يتأتّى ذلك إلاّ بالاعتماد على "سياقٍ لغويٍّ" للأوّل و"سياقٍ حاليٍّ" للثاني مع توفّر "الكفاءةِ اللّغويةِ المعرفيةِ" في المتلقي حتى يصل لمقصد المتكلّم المنشود وهو "القصد الثاني الباطني" متجاوزاً "القصد الأوّل الظاهري". إذن «ففكرة "الثنائية القصدية" موجودة في القديم إلى الحديث إلى المعاصر من الدّراسات، فقد يسعى المنتج حسب قصده للمعنى الأوّل، أو المعنى الثاني الذي يكون من حصيلة الكفاءات المعرفية والسّياق»[١].

ورغم كلّ ذلك، هناك تساءل مهمّ يجب طرحه: هل يمكن القول بأن كل "قصد غير مألوف معجمياً" يشكل قصداً ثانيا؟ الجواب سيكون بالنّفي، حتماً. فالقصيدة هي بناء مغلق تتركّب من عناصر تشكل قواعد كميّة (الأوزان والقوافي) وأخرى نظامية (نحو: المطابقات والانحرافات السيميائية)، وهذه الأخيرة (الشواذ السيميائية) هي في غالبها قابلة للتفسير والتأويل، فهي مسواة وواضحة نحوياً، ومن ثم، فهي مستهلكة نهائياً.

من هنا، يبرز معيار تحديد القصد الثاني وتظهر ملامحه في كونه غير منتظرٍ، جديدٍ، غير متوقعٍ، وغير مألوفٍ، فالتساؤل عن ماهية هذا "القصد الثاني" بالتأكيد لن يكون جوابه جاهزاً أو سريعاً، بل سيحمل هذا الجواب في طياته لغزاً ونوعاً من **الحيرة** و **الارتباك والدّهشة** وربما قد لا تجد له جواباً واحداً، بل تفسيراتٍ متعدّدةٍ. وبهذا نضيف معياراً آخر للقصد الثاني؛ فهو ليس مرتبطاً بالسياق الحالي، وخارجاً عن المعاني المعجمية المشتركة والمعروفة فحسب، بل يجب أن يكون غير مستهلكٍ ولا مألوفاً عند المتلقي حتى يصبح متعدّداً وجديداً وإلاّ سيتحوّل إلى قصدٍ أوّلٍ، شأنه في ذلك شأن **"المجاز الميّت"** و**"المجاز الحيّ"**؛ فإذا كان مستهلكاً يتحقّق في النّوع الأوّل، وإذا صار مصدر الحيرة والارتباك والدهشة تجسّد في النّوع الثّاني.

المقارنة بين الدّرسيْن

بعد عرض دراسات كلّ من العرب القدماء والغربيين، وتحليل بعض النماذج، كان لابد من المقارنة بينهما من خلال مجموعةٍ من نقاط الاتفاق والاختلاف.

أ. نقاط الاتّفاق

اتّفق علماء العربية القدماء والدارسين الغربيين في جملة من الأفكار التي يمكن تحديدها فيما يلي:

١- مريم أقرين، **العدول ومقاصده في ديوان "ابن خفاجة الأندلسي"**، ص٤٩.

– الهدف من إنشاء النّص، على اختلافه عند الدرسيْن، واحد هو: وصول رسالة المرسل للمتلقي مشحونةً بأمرين اثنين: قصدٍ ظاهريٍّ ثابتٍ، وقصدٍ ضمنيٍّ متعدّدٍ نظراً لاعتباراتٍ سياقيةٍ، وثقافيةٍ، واستقباليةٍ.

– كان مفهوم الثنائيتين متقارب عندهما؛ فالمعنى الأوّل، معنى حقيقي يُفهم من ظاهر اللفظ ومتن الكلام ويكون بالإخبار عن حقيقة، وهو القصد المقول/التقريريّ/المصرّح به، والثابت والمشترك، والمفهوم عند الجميع، في حين أن المعنى الثاني هو القصد المجازيّ/الإيحائيّ/التلميحيّ والمتحوّل ويكون بالتّعريض، يتجاوز المعنى الحقيقي إلى معنى آخر هو المقصود إلاّ أنّه غير مذكور في متن الخطاب ويُسْتَنْتَجُ من الكلام الصريح المنطوق وهو تابعٌ للأوّل فهو "لغة داخل لغة"، وبالتالي هو (قول شيءٍ ظاهريٍّ وقصد آخرَ باطنيّ).

– كما أنّهم قد قسّموا المقصد إلى نوعين تختلف فيها المصطلحات حسب الدّارس، بل عند الدّارس ذاته مع حملها المعنى نفسه، فمثلا العرب القدماء نجد "الشاطبي" عنده (القصد الأول والقصد الثاني)، و(الدلالة الأصلية والدلالية الثانية)، و(المعنى الأصلي والمعنى التابع)، و(الظاهر والباطن) و(العزيمة والرخصة)، و(القصد الأصلي، والقصد التابع). و"عبد القاهر الجرجاني" عنده (المعنى الأوّل، والمعاني الثّواني)، و(المعنى ومعنى المعنى)، و(لفظية أوليّة ومعنوية ثانويّة) وغيرهما. أمّا الدارسين الغربيين فنجد "جون كوهين" عنده (المعنى الحرفي، والمعنى الصوري). وجون سيرل عنده (مضمون لغوي، ومضمون قصدي/تمثيلي) وغيرهما.

– أدرك علماء العربية والدارسين الغربيين أنّ الوصول للمقصد الثاني يكون بالاستعانة "بالسياق" مع تنوّعه وإلاّ لن يتمّ تحقيق الهدف المنشود وسيبقى النّص في حالةٍ نموذجيةٍ من الغموض، لذا لابد من سياق يساعده على تجاوز العجز وسدّ الثغرة الدلالية.

– كان للملفوظ مكانة عند الدارسين، حيث اهتموا به كونه الوسيلة لإيصال المقصد وتجاوز المعنى الخام للفظ، فهو القاعدة الضرورية؛ أي فهم الجزء يعين على فهم الكلّ.

– طريقة تحليلهم للثنائية القصدية متشابهة؛ كونهما يعملان على إظهار المعنى الظاهر أوّلاً، ثمّ الانتقال لتحديد المعنى الباطني ثانياً.

ب. نقاط الاختلاف

مثلما كان هناك نقاط اتفاق وتشابه بين الدرسيْن، نجد أيضا أفكار مختلف فيها من خلال تميّز درس لغوي عن آخر، وهذا ما يظهر في الآتي:

– اللاّفت للانتباه تميّز الدارسين الغربيين في تركيز اهتمامهم الشّديد على دراسة وتحليل وتخريج تأويلات ضمنية لعلامات الترقين (la ponctuation) في أعمال بعض الشعراء، وهذا راجع لتوسّع تصوّرهم وفكرهم تارةً، ودقّة لغتهم تارةً أخرى لذا خصّوا عنايتهم بهذا النوع من العلامات والرّموز عكس الدّارسين العرب.

– تنبّه الدارسون الغربيون لمعيار مهمّ يخصّ تحديد القصد الثاني أو "**القصد غير المألوف معجميّا**" الذي يكمن في أنّ ملامح هذا الأخير تظهر في أنّه غير منتظرٍ، جديدٍ، غير متوقعٍ، وغير معتادٍ، وبالتالي ليس مُستهلكاً نهائيًّا وإلاّ سيتحوّل إلى القصد الأوّل، كونه (القصد الثاني) موطن الحيرة والارتباك والدهشة وربما قد لا تجد له جواباً جاهزاً أو سريعاً، بل سيحمل في طياته لغزاً وبهذا تتعدّد التفسيرات، وهو ما يضمن للنّص حياةً متجدّدةً.

النتيجة

١- يتحدّد القصد في كونه مجموعة من الأهداف والأغراض والمرامي البعيدة المدى التي تستوطن النّص، وعلى المتلقي أن يتصيّدها ولا يقف عند المعنى القريب بل البعيد، وهذا لا يكون إلاّ بقارئ واعٍ وذكي.

٢- إنّ فكرة "الثنائية القصدية" عند الدرسيْن تستقرّ على دعامتين أساسيتين: **أولها** القصد المباشر الثابت؛ الذي ينحصر عند كل متلقي بقراءةٍ سطحيةٍ وسياقٍ لغويٍّ، **وثانيها** القصد غير المباشر المتغيّر؛ الذي ينفتح أمام القراءات وتعدّد أوجهها لأنّه ضمنيٌّ تعريضيٌّ ومصدر الحيرة والارتباك، وليس مستهلكاً، ويُدرك بدراياتٍ لغويةٍ وفكريةٍ وسياقيةٍ.

٣- تظهر فكرة الثنائية القصدية عند العلماء القدامى من دون ذكرٍ لهذا المصطلح، بل اقتصروا بتقسيم المعنى إلى قسمين اثنين الذيْن تتنوّع تسميتهما من عالم لآخر. مثلهم في ذلك مثل الدارسين الغربيين.

٤- رغم اختلاف المعتقدات واللغة بين الدرسيْن، إلاّ أنّ طريقة تناولهم للمادة المدروسة وتحليلهم للفكرة تبقى متشابهة؛ وذلك من خلال عرض النص وتحليله دلالياً ومقصدياً سواء الظاهر منها أو الباطن، ثمّ تقديم مقاصد بديلة في حالة تغيير بعض من النّص أو النّص كلّه.

٥- يعدُّ كلٌّ من "السياق" بأنواعه و"الكفاءات المعرفية" من اهتمامات الثنائية القصدية؛ كونهما عاملان مهمان لاستنتاج الثنائية لاسيما المقصد المبتغى وهو "القصد الثاني غير المباشر"، والتي يجب على الناقد القارئ تملّكهما.

٦- يمكن أن نلمس أثناء المقارنة بين الدارسين العرب القدماء والغربيين، وجود نقاط اتّفاق أكثر من نقاط الاختلاف، وهذا دليل على وجود علاقةٍ فكريةٍ وطيدةٍ بينهما، لأنّ الهدف في النهاية واحد وهو: تطوير النّص خاصة الإبداعي، ومحاولة ترقيته والوصول به إلى درجة الفنّ وهذا يكون من خلال قيمة مقاصده وأغراضه المرسلة المتبحرة والعميقة، ومحاولة تمسّكها وعدم الإرساء عند سطحها فقط.

٧- الوصول للقصد الثاني الكامن في النصوص الدينية يمرّ عبر العملية التأويلية بالضرورة، فنحن لا نطبق النص الديني في حد ذاته بل مفهومنا للنص، وهنا تتعدد القراءات والمقاصد، تعدد الأدوات التحليلية المستعملة. إن ما يجعل "**النّص مطلقا**" وصالحاً لكل زمانٍ هو لا نهائية المعنى.

قائمة المصادر والمراجع

أ. الكتب العربية:

١- ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، (دون معلومات).

٢- ابن قيّم الجوزيّة، محمد بن أبي بكر بن أيوب، **الفوائد المشوّق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، بيروت: عالم الكتب، (دون معلومات).

٣- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، بيروت: دار صادر للطباعة والنشر، (دون معلومات).

٤- أحمد الرّيسوني، **نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي**، الطبعة الرابعة، هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٥م .

٥- أحمد مختار عمر، **معجم اللّغة العربيّة المعاصرة**، الطبعة الرابعة، القاهرة: عالم الكتب، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

٦- الآمدي، علي بن محمد، **الإحكام في أصول الأحكام**، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، الطبعة الأولى، الرّياض: دار الصميعي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣م.

٧- امرؤ القيس، بن حُجر بن الحارث الكندي، **ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الرابعة، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٤م.

٨- الجرجاني، أبو بكر بن عبد القاهر بن عبد الرّحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: السيّد محمد رشيد رضا، ومحمد عبده، وآخرين، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

٩- ــــــــــــ، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، مطبعة المدني، (دون معلومات).

١٠- الجوهري، إسماعيل بن حمّاد، **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطّار، الطبعة الرابعة، بيروت: دار العلم للملايين للتأليف والترجمة والنشر، ١٩٩٠م.

١١- الرّازي، فخر الدّين محمد بن عمر، **المحصول في علم أصول الفقه**، تحقيق: طه جابر فياض العلواني، مؤسسة الرسالة، (دون معلومات).

١٢- رضا محمد رشيد، **تفسير القرآن الحكيم**، الطبعة الأولى، مصر: مطبعة المنار، ١٣٢٨هـ.

١٣- الشّاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، **الموافقات في أصول الشريعة**، تحقيق: عبد الله دراز، ومحمد عبد الله دراز، وآخرين، (د.ط)، بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية، (د.ت).

١٤- صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي**، مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، الطبعة الأولى، الرياض: دار الهجرة للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.

١٥- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، **المستصفى من علم الأصول**، تحقيق: حمزة بن زهير حافظ، المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، كلية الشريعة، (دون معلومات).

١٦- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، أبو عبد الرحمن بن عمرو بن تميم الفراهيدي، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزرمي، وإبراهيم السّامرائي، سلسة المعاجم والفهارس، (دون معلومات).

١٧- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، (د.ط)، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٦م.

ب. الرّسائل الجامعيّة:

١- بنعيسي أزاييط، **من تداوليات"المعنى المضمر"**، كلية الآداب، مكناس، اللسانيات واللغة العربية بين النظرية والتطبيق سلسلة الندوات٤، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة المولى إسماعيل، ١٩٩٢م.

٢- مريم أقرين، **العدول ومقاصده في ديوان "ابن خفاجة الأندلسي"**، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللّغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ٢٠١٤/٢٠١٥م.

٣- نبيلة سكاي، **التخيل والقول بين حازم القرطاجني وجيرار جينيت**، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر.

ج. الدّوريات:

١- آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم. علم جديد في التواصل**، ترجمة، سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، وآخرين، الطبعة الأولى، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٣م.

٢- بيير جيرو، **الأسلوبية**، ترجمة، منذر عياشي، الطبعة الثانية، حلب: دار الحاسوب للطباعة، ١٩٩٤م.

٣- جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام العامة. كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ترجمة، عبد القادر قينيني، (د.ط)، المغرب: الدار البيضاء، ١٩٩١م.

٤- جون سيرل، **القصدية بحث في فلسفة العقل**، ترجمة، أحمد الأنصاري، (د.ط)، بيروت،لبنان: دار الكتاب العربي، ٢٠٠٩م.

٥- جون كوهين، **النظرية الشعرية بناء لغة الشعر اللغة العليا**، ترجمة، أحمد درويش، (د.ط)، القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٠م.

٦- نعيمة سعدية، **شعريّة المفارقة بين الإبداع والتّلقي**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، دورية علمية محكمة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد ١، ٢٠٠٧م، ص١٣٥ – ١٥٦.

د. الكتب المترجمة:

٧- كاترين كربرات أوريكيوني، **فعل القول من الذاتية في اللغة**، ترجمة، محمد نظيف نظيف، (د.ط)، المغرب: دار البيضاء، ٢٠٠٧م.

٨- مايكل ريفاتير، **دلائليات الشعر**، ترجمة، محمد معتصم، الطبعة الأولى، الدار البيضاء: مطبعة النجاح الجديدة، ١٩٩٧م.

هـ. الكتب الفرنسيّة:

1- Claude Demanuelli, **Points de repère: approche interlinguistique de la ponctuation français-anglais**, Paris, Centre Interdisiciplinaire d'Etudes et de Recherches sur l'Expression contemporaine, Université de Saint-Étienne, 1987.

2- Robert Desnos, **Rrose Sélavy *in:* Corps et biens**, Éditions Gallimard, Paris, 1968.

3- Wolfgang Iser, **L'acte de lecture: théorie de l'effet esthétique**, Bruxelles, Pierre Mardaga Éditeur. 1985.

و. الدّوريات الفرنسيّة:

1- Małgorzata Kuta. **Rrose Sélavy De Robert Desnos: A La Recherche Du Sens Caché**, Romanica Cracoviensia, Tome 9, Nº 9, Jagiellonian University Press, 2009, pp 43-54.

2- Kadiatou Kouadio- Bouadou, **Le pouvoir du mot, un prélude à la didactique du texte poétique d'expression**

française: une lecture de cri de Zegoua Gbessi Nokan, Revue du GERFLINT, Numéro 01, 2006, pp 52-57.

3- Lucien Victor, «**Grammaire et Poésie: trois exemples**», Semen, Numéro 24, in: Linguistique et poésie: Le poème et ses réseaux, Presses Universitaires. Franche-Comté, France, 2007, pp 55-72.

ز. **المواقع الالكترونيّة:**

١. القرش، جمال، **مسك الختام في معرفة الوقف والابتداء**. منشور في:

http://fr.wikipedia.org/wiki/Veni,_vidi,_viciqtIc

دوگانگی غرض در میراث عربی و پژوهش‌های غربی

مریم اقرین*

چکیده

این پژوهش به‌صورتی مختصر اندیشه‌های آغازین یک از قضیه‌های غرض یعنی دوگانگی را مورد مطالعه قرار می‌دهد که صفحه‌های پژوهش‌های عربی و غربی را با این اعتبار که ارزش و پیشرفت اثر ابداعی و نوآورانه را آشکار می‌سازد، فراگرفته است؛ زیرا این قضیه مجموعه‌ای از هدف‌ها و غرض‌ها و غایت‌های دوری را نمایان می‌کند که ریشه در متن دارد و مخاطب باید آن را دنبال کند و در غرض نزدیک توقف ننماید بلکه به طرف مقصود دور برود، به این ترتیب از این امر "دوغرضگی" حاصل می شود. بی‌گمان شناخت این دوگانگی نیازمند درک آن است، و این امر مشکل‌آفرین است؛ چرا که مقصود اولی به سبب آشکار بودن و سطحی بودن، ثابت است و همه مخاطبان اغلب آن را درک می‌کنند، اما غرض دیگری به سبب درونی و تلمیحی بودن، متعدد و متغیر است و جز مخاطب هوشمند و فرهیخته و هوشیار، آن هم با دقت در متن و به‌کار گرفتن امکانات شناختی و سیاقی، آن را درک نمی‌کند.

این جستار بر اساس محورهای زیر ظاهر می شود: الف: تعریف غرض و دوگانگی آن، ب- دوغرضگی در تحقیقات کهن عربی، ج- دوغرضگی در تحقیقات غربی. این دو عنصر اخیرنشانه‌های دوگانگی را از جهت نام‌گذاری‌های مختلف آن در هر یک از دو فرهنگ عربی و غربی و حتی در خود هرکدام از آن دو بررسی می‌کند و نیز تعریف هرکدام از آن دو و آوردن نمونه‌های متنوع زبانی و مفهومی را به دست می‌دهد. د- مقایسه میان دو تحقیق عربی و غربی که در آن به نقاط اشتراک و اختلاف پرداخته شده است.

این پژوهش به این نتیجه رسیده است که اندیشه "دوغرضگی" نزد دانشمندان قدیم بدون نام این اصطلاح ظهور داشته است، بلکه آنان مانند پژوهشگران غربی تنها به تقسیم معنا به دو قسمت بسنده کرده‌اند، ضمن این که با مقایسه میان این دو فرهنگ می‌توانیم نقاط مشترک بیشتری از نقاط اختلاف پیدا کنیم. این امر نشانگر وجود ارتباط فکری مستحکمی- چه آشکار و چه نهان- بین آن‌ها می‌باشد؛ زیرا سرانجام یک هدف وجود دارد، و آن نقد و تحلیل معناشناختی و اغراض آن است.

کلیدواژگان: دوگانگی غرض، پژوهش عربی، پژوهش غربی، صریح، ضمنی.

---

*- استادیار گروه زبان وادبیات عربی دانشگاه محمدخیضر، بسکرة، الجزائر. meriem.agrine@gmail.com

تاریخ دریافت: ۱۳۹۴/۰۵/۲۹هش= ۲۰۱۵/۰۸/۲۰م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۶/۰۲/۰۹ هش= ۲۰۱۷/۰۴/۲۹م

Abstracts in English

The Duality of Intention in Arab and Western Research

Maryem Agrin, Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, University of Biskra, Algeria.

Abstract

The study briefly investigates one of the basic concepts that is the duality in intention, which is frequently addressed in the research don by Arab and Western scholars. Ambiguity of intention is a mark of the creativity of the work and if food for mind for the reader to follow immediate and far-fetched, hidden intentions. Understanding this duality or double intention is a challenge, no doubt because the immediate intention is obvious and, hence constant, and all audience can get it but the far-fetched intention is variable because it is implied and only the intelligent, well-versed and attentive readers can discover it. This study aims at the following: defining intention and double intention; double intention in old Arab research; double intention in Western research; a comparative study of Arab and Western research on duality of intention, pinpointing the similarities and differences. The conclusion is that the idea of dual intention exited in the thinking of early Arab scholars without this label. They, too, divide meaning into two types. Comparing the two traditions clarifies more commonalities than differences. This point to strong, explicit or implicit, intellectual connections between them, as there is one goal and that is interpretation and analysis of intentions.

Keywords: duality of intention; Arab research, western research; explicit; implicit; constant; multiple.